النقابة منشؤها وتطورها

حتى عصر المرتضى

بقلم الاستاذ عبد الحميد الدجيلي

١ — كيف تأسست نقابة الطالبيين ومتى ولماذا . ومن هو اول نقيب .

اذا أردنا ان نعرف العوامل الموجبة لنقابة الطالبيين نراها كثيرة . ولعل هذه الظاهرة من ارقى مافكر به العباسيون في الأمور السياسية والأدارية فقد كان الطالبيون سبباً فعالا في انقاط الدولة الأموية وكان شيعتهم معولا هداماً لتلك الدولة التي تجاهرت بمعاكستهم ولما تولى العباسيون الحكم واستقلوا به وطردوا الطالبيين وكثيراً من اشياعهم المخلصين وقاوموهم مقاومة شديدة حتى كانوا اقسى عليهم من الأمويين كما عبر بذلك شاعرهم .

تالله مافعلت أمية فيهم معشار مافعلت بنو العباس

صار هؤلاء الطالبيون يكيلون الصاع كما كالوه للأمويين فكانت ثوراتهم كثيرة وكانت هذه الثورات اشد الثورات على العباسيين لأن الجماهير من الناس الناقمين والمتدينين والمغفلين صاروا في كثير من الأوقات في جانب هؤلاء الطالبيين ولاسيما جماهير الخراسانيين واهل الكوفة وقد اتعبت هذه الحركات الثورية الدولة العباسية وامراءها .

وذكر المسعودي في مروج الذهب عدد الثائرين في زمن المستعين من هؤلاء الطالبيين فكانوا سبعة او اكثر فقد ثار ابو الحسن يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين من ذرية جعفر الطيار في سنة [٢٥٠ هـ] في الكوفة وذلك لذل اصابه في سامراء من بعض الخلفاء العباسيين ومن بعض امرائهم . ولضائقة اشتدت به وكان هذا الثائر الذي حاول ان يعيش كفافاً فلم يستطع محترماً جداً في اوساط المسلمين مرعي الجانب فكان قتله وبالا على العباسيين حتى لم يستطيعوا ان يقيموا مراسيم الظفر كاملة . وثار في طبرستان في هذه السنة ايضا الحسن بن زيد الحسني فغلب عليها وعلى جرجان وبقيت هذه المنطقة مدة بيد هؤلاء لان الخراسانيين الذين هم اعقاب اولئك الذين قاموا بالثورة على الأمويين لم يشاهدوا تمشية العدل فيهم . وقام في نفس الوقت في الري محمد بن جعفر بن الحسن العلوي داعياً للحسن بن زيد الثائر في طبرستان ثم ظهر ايضا بالري احمد بن عيسى الحسيني وظهر في هذه السنة بقزوين الحسن بن اسماعيل بن محمد الحسيني وظهر في الكوفة ايضاً الحسين بن محمد بن حمزة الحسني . الى غير ذلك من الثائرين في زمن هذا الخليفة الضعيف والذي كان تحت سلطة الأتراك وبقية الأجناد . وقد كان العباسيون هم انفسهم متطلعين لتخفيف هذه الأضطرابات اوحسمها فاما قدم الحسين النسابة من الحجاز الى بغداد وكان من وجهاء العلويين وعلمائهم وقد سمع شكاوي العلويين من الاتراك والتعدي عليهم اشار على المستعين بالله بأمر يخفف عن العباسيين هذه الثورات الطالبية ويجعل الطالبيين في راحة من الأستبداد بهم . نعم اشار على المستعين ان يؤسس نقابة خاصة وادارة مستقلة للطالبيين يديرهم نقيب متنفذ منهم يخضعون له فينظم امورهم ويشرف على اوقافهم ويحفظ انسابهم ويعطي لكل حقه ويكون واسطة بينهم وبين الخليفة والوزراء فوقع هذا الأقتراح موقعه وصادف رضاً من الجانبين فأمر المستعين بجمع الطالبيين كافة وعرض عليهم هذه الفكرة فوافقوا عليها جميعاً فطلب منهم الرجل الذي يقوم بهذا الأمر فاجمعوا كلهم على صاحب الفكرة الحسين النسابة فاصدر الخليفة أمره بذلك وطلب منه ان يرتب النقباء خارج العاصمة واستمر هو في بغداد حتى توفي فتوارثها بنوه واحفاده مدة من الزمن .

وكان الحسين هذا كما قلنا عالماً فاضلا ومصنفاً وهو اول من كتب الشجر في الأنساب والف فيه كتابه « الغصون في آل ياسين » ورد بغداد سنة (٢٥١ هـ) واعقب من رجلين زيد المعروف بعم عمر ويحيى . وفي ولد يحيى البيت وهو الذي صار نقيباً في بغداد بعد أبيه وكان من اشراف العلويين وافاضلهم واعقب من رجلين : ابي علي عمر الشريف الجليل وابي محمد الحسن الفارس .

١ — اما ابو علي فحج بالناس اميراً عدة مرات ومن جملتها سنة (٣٣٩ هـ) وقد حمل الحجر الأسود معه فنصبه في مكة وكانت القرامطة قد اخذته الى الأحساء وبقي

عندهم عدة سنين ثم ردوه الى الخليفة فأمر هذا بارجاعه على يد هذا الشريف . وكان لهذا الشريف سبعة وثلاثون ولداً منهم احد عشر ذكراً . وقد تولى جملة من احفاده واحفاد احفاده النقابة منهم شمس الدين احمد بن النقيب علي بن ابي طالب وكان سيداً جايلا توفي سنة (٤٥٠ هـ) فاعقب ولدين النقيب نجم الدين اسامة وكانت امه اخت الوزير المغربي ابى القاسم صاحب التصانيف (١) الكثيرة . ولي نجم الدين النقابة سنة (٤٥٢ هـ) وقلت رغبته فيها فاستعفى بعد اربع سنين فتولى النقابة اخوه ابو محمد الحسن الاسمر ثم خلفه ابن أخيه عدنان بن اسامة وكان بنو أسامة من بيوتات العلويين الجليلة المقدمة وكان زيد بن علي النقيب بن اسامة ابن عدنان شاعراً فاضلا فارق العراق الى الهند فتولى هناك زعامة الطالبيين .

وكان اغلب هؤلاء الأحفاد نسابين معروفين بالعلم والفضل منهم عبد الحميد التقي النسابة انتهى اليه علم النسب وكان بيته احد بيوتات النقابة في النجف والكوفة وقد تسلسل من اولاده واحفاده علماء فضلاء كان اغلبهم يسكن النجف والكوفة اشتهر منهم عبد الحميد بن ابى طالب النسابة ويلقب بجلال الدين مولده (٥٢٢ هـ) وكان هذا الشريف جليل القدر فاضلا محققاً نسابة ولا سيما في المشجرات كما كان عالماً بالأدب وفنون اخرى.

وقد جالس ابا محمد عبد الله الخشاب اللغوي النحوي البغدادي واخذ عنه علم العربية وكان في اول امره يقول الشعر وسافر الى خراسان وبقى خمس سنين هناك يشتغل بالعلم ولا سيما النسب منه فلما قدم العراق تصدر في ديوان النسب وجلس في موضع ابيه وضبط الأنساب وكتب المشجرات وكان يسكن اغلب اوقاته في النجف وفي سنة (٥٩٧ هـ) ورد بغداد وكان يرد اليها مراراً فتوفي هناك وحمل الى النجف فدفن ومن احفاد عبد الحميد هذا عبد الحميد ابن ابى طالب بن عبد الحميد . وكان عالماً فاضلا نسابة تولى نقابة النجف والكوفة وقال عنه ابن زهرة هو السيد الجليل الكبير الأديب نسابة عصره ووحيد دهره نسباً وادباً كتب الكثير وطالع الكثير وروى الكثير من الأشعار والاخبار والأنساب وتصانيفه في الأنساب وتعاليقاته تعرب عن فضل جم وتحقيق تام واشعار حسنة من جيد اشعار العلماء ، امه من بنات الأعمام مات سنة (٦٦٦هـ) ودفن في المشهد الغروى ومن احفاد عبد الحميد تاج الدين ابو الحسن بن النقيب مجد الدين وكان سيداً جايلا شريفاً تولى امارة الحج ونقابة الغرى وهو جد النسابة النقيب فخر الدين صالح وكان فخر الدين هذا فاضلا نسابة تولى نقابة المشهد الغروى في زمن نقابة السيد رضي الدين محمد الآوى الأفطسي المعاصر للسيد رضي الدين بن طاووس . ومن احفاد عبد الحميد نجم الدين محمد بن علي وكان سيداً جايلا كبير القدر واحد مشايخ الطالبيين بالعراق مقيما بالمشهد الغروي . وكان يخدم في صباه الديوان ثم ولي نقابة النجف مدة طويلة وكان يتولى ما احدثه صاحب الديوان عطا الملك الجويني بالمشهد والكوفة من العمارات والقنى والأربطة (٢) .

٢ ـ واما الولد الثاني من اولاد يحيى بن الحسين النسابة وهو ابو (٣) محمد الحسن الفارس فقد تولى النقابة بعد أبيه يحيى وكان سيداً شريفاً جايلا متمولا وجيهاً لم يملك احد من العلويين ما ملك من الأموال والأملاك (٤) والتناء قيل زرع في سنة واحدة ثمانية وسبعين الف جريب وصادره بهاء الدولة ابن بويه على الف الف دينار عيناً واعتقله سنتين وعشرة اشهر والزمه يوم اطلاقه تسعين الف دينار . وهو صاحب القصة المشهورة التي يذكرها صاحب العمدة مع وزير عضد الدولة وكان جالساً عنده في الديوان فطلب من السيد ابلاغ اهل الكوفة بقرب وصول رسول القرامطة ولزوم احترامه فامر بأرسال الحمام الزاجل الذي له فعاد اليه الجواب بوصول الرسالة وهو لايزال حاضراً عنده .

---

(١) توجد له ترجمة في رجال ابى على

(٢) ماضى النجف وحاضرها للأستاذ شيخ جعفر محبوبة وتأريخ الكوفة للبراقي وعمدة الطالب وغاية الأختصار

(٣) وفي بعض النسخ على العكس اي ابو الحسن محمد وقد اعتمدنا هنا على العمدة .

(٤) يقال تنا بالمكان اقام والمقصود العرفي القطايع والأراضي الزراعية المملوكة.

وكان متمعاً بشهرة عظيمة ولكنه في اثناء محاربة وزير عضد الدولة المطهر بن عبد الله لعمران بن شاهين بدرت من هذا الوزير كلمة تدل على انه مشمئز وشاك في نيته فلما انتهت المعركة بقتل الوزير قبض عليه عضد الدولة وسفره الى فارس ودخلت يده في املاكه واسبابه (١) وقد اعقب هذا خمسة واربعين ولداً منهم ثلاثون ذكراً واتصل عقبه في ثلاثة الأول ابو الحسن محمد التقي السابسي الذي كان سبب عزل الرضي الموسوي عن النقابة لخاصمة كانت بينهما وكان الشريف الرضي ختنه فاقيم مقامه بعد عزله فصار السابسي نقيب النقباء ببغداد مدة وأميراً للحاج ثم عزل وعاد الشريف الرضي .

والولد الثاني ابو طالب عبد الله والثالث الحسن الأصم (٢) السوراني وقد اعقب السوراني من ابي تغلب نقيب نقباء سوراء واتصل عقبه فيها اجيالا عديدة وقد تولى النقابة من احفاد ابي محمد الحسن الفارس عدة رجال فضلاء كانت لهم النقابة في سوراء والحلة وواسط وطرابلس وكان منهم ادباء وشعراء ومؤلفون ونقباء صالحون منهم الشاعر العالم الفاضل الساكن في الغري ابو تغلب علي عميد الدين ومنهم النقيب النسابة الفاضل الزاهد الشجاع العابد الكريم احمد ابن ابي تغلب وكان من هؤلاء الأحفاد نقباء في اواخر الدولة العباسية واوائل حكومات التتر يسكنون في النجف والحلة وتجددت لبعض هؤلاء الأحفاد اسماء جديدة كآل العميد النقباء الساكنين في الغري وآل طوير الساكنين فيها ايضاً وغير هؤلاء مما ذكرهم في العمدة واهم عائلة منهم آل الفقيه سكنة النجف وهم أهل نباهة وجلالة تقلدوا النقابة في النجف وحواليها وحازوا الرآسة وامتد فرعهم وهم من ولد الحسن الأصم كما ذكرنا .

والفقيه الذي تنتسب اليه العائلة فخر الدين يحيى بن ابي طالب هبة الله بن شمس الدين وكانت لهم نقابة النقباء في سوراء ايضاً ولهم بيت عالي البناء في النجف وفيها منهم

(١) الاسباب الاعوان والتابعين للأمير .

(٢) سوراء مدينة مشهورة في اطراف الحلة منقرضة وكانت قرب الهاشمية الحالية ومركزاً لنقابة علوية وكان العلويون هناك متنفذين منهم بنو الحسن الأصم هذا .

نقيب النجف زين الدين هبة الله الصدر المعظم والجليل الكريم قال في غايته الاختصار ولد سنة [٦٦٧ هـ] وولي صدارة البلاد الحلية والكوفة ونقابتها مع المشهدين الغروي والحائري فكان ذا رآسة وسماحة وهو اليوم اوفى الطالبيين غرة وقد فاق اضرابه كرماً ونبلا ورفعة وصلاتاً وشرفاً وكان ابوه الفقيه فخر الدين ملأ العين قرة والقلب مسرة واخوه تاج الدين كذلك .

وقال في العمدة قتل زين الدين سنة [٧٠١ هـ] قرب بغداد بدم صفي الدين بن محاسن الذي كان قد امر هذا السيد برفسه فرفس ومات .

وكان اخوه جلال الدين ابو القاسم فقيهاً زاهداً في مبدأ امره فلما قتل اخوه زين الدين توجه الى السلطان غازان وتولى النقابة والقضاء والصدارة بالبلاد الفراتية وقتل كل من دخل في قتل اخيه وتجرأ على الفتك وسفك الدماء وطالت حكومته . وجاء ذكره عند ابن بطوطة حينما عدد نقباء النجف كما سياتي .

٢ — منزلة نقيب النقباء وما تحت يده من النقباء

ذكرنا في اول ترجمة بني زهرة النقباء في العدد الثالث والرابع من الأعتدال للسنة الاخيرة الأمور التي يجب على النقيب ونقيب النقباء القيام بها كما فصل ذلك الماوردي والآن نضيف الى ذلك انه يلزم ان يكون صاحب علم وفضل وان يكون من اجل الطالبيين بيتاً واكثرهم فضلا واقواهم رأياً واعلاهم كلمة ليستطيع ان يجمع شروط الرآسة والزعامة حتى يقبل قوله ويطاع وقد كانت هذه الوظيفة من الوظائف المهمة في الدولة وكان النقيب محترماً في كل العهود الأسلامية ورمز خير بين الأمراء المتخاصمين وكان نقيب النقباء في الدولة العثمانية كما يقول جرجي زيدان متقدماً على سائر رجال الدولة حتى الصدر الأعظم وشيخ الأسلام .

وكان النقيب ذا سيطرة سامية وكثيراً ما كانوا يضيفون الى النقابة ديوان المظالم وامارة الحج ونحوهما قال ابن بطوطة في كلامه على النجف [... وليس في هذه المدينة مغرم ولا مكاس ولا وال وانما يحكم عليهم نقيب الاشراف وهو مقدم من ملك العراق ومكانه عنده مكين ومنزلته رفيعة

وله ترتيب الأمراء الكبار في سفره وله الأعلام والأطبال وتضرب الطبلخانة عند بابه مساء وصباحاً واليه حكم هذه المدينة ولا والى سواه ولا مغرم فيها للسلطان ولا لغيره واهل النجف اهل تجارة ويسافرون في الاقطار وهم اهل شجاعة وكرم ولا يضام جارهم صحبتهم في الأسفار فحمدت صحبتهم.

وكان النقيب في عهد دخولي اليها تاج الدين الآوني وكان قبله جماعة يلي كل واحد منهم بعد صاحبه منهم جلال الدين بن الفقيه ومنهم قوام الدين بن طاووس ومنهم ناصر الدين الأوهري ومنهم ابو غرة بن سالم بن مهنى ابن جماز الحسيني (١)..] وقد كان الخلفاء والأمراء يكتبون للنقباء عهوداً كبيرة للسير بموجبها وذكر جملة من هذه العهود صاحب صبح الأعشى في الجزء الحادي عشر ومما قال هناك « . . وقد جرت العادة ان الذي يتولى النقابة يكون من رؤساء الأشراف ومن ارباب الأقلام وانما اوردته مع ارباب السيوف لأن ابن فضل الله قد ذكر في دساتيره انه يكتب لنقيب الاشراف « الأميري » ولا يكتب له «القضائي» ولو كان صاحب قلم..»

ومما جاء في عهد ذكره صاحب صبح الأعشى « . . فليحي لهم من الخير مايبهج الزهراء البتول فعله ويفعل مع اهله وقرابته منهم ماهو اهله وليحفظ مواليهم ويحرر اسانيدهم ويضبط اوقافهم ويعتمد انصافهم ويثمر محصلاتهم ويكثر بالتدبير غلاتهم ويأخذ نفسه بمواساتهم في جميع حالاتهم وليأخذهم بالتجمع عن كل شيء والعمل بما يزين . . . »

واحسن اثر لدينا من هذه العهود واوفى مطلباً ماذكره الصابي في رسائله فقد كتبه عن لسان المطيع لله سنة «٣٥٤» حينما اوكل النقابة للشريف ابي احمد الحسين والد الرضي والمرتضى كما أوكل اليه امارة الحج ومما جاء فيه « . . ولذلك مارأى امير المؤمنين ان يقلدك النقابة على الطالبيين اجمعين من كان منهم بمدينة السلام وفي غيرها من النواحي والأمصار على رسم محمد بن الحسن العلوي (٢) في توليتها ومن كان قبلا ناظراً فيها . . . . واثبت الجماعة ممن يحضرتك باعيانهم واسمائهم واعزهم الى اجدادهم وابائهم وليعمل بمثل ذلك اصحابك في الأطراف وخلفاؤك في البلاد . . . . فان تظلم اليك بعض رعية امير المؤمنين وشكا احداً من الطالبيين فخذه بمساواة خصمه وامنعه من الاستطالة عليه وهضمه واعمل في امرهما بما كان من يتولى هذه النقابة بعمله قبلك . . . . وليكن ماتختاره من خلفائك في البلاد ممن تثق منه بجميل المذهب والسداد . . . واذا ارتج دونك باب تعذر انفتاحه والتبس امره بعد اصلاحه فانه الى امير المؤمنين ماأشكل . . .] وهو طويل شرح فيه واجب النقيب خير شرح فراجعه .

٣ — النقباء في بغداد من غير عائلة الحسين النسابة منذ أوائل القرن الرابع حتى الرضي والمرتضى وابن أخيه .

اضفنا (٣) هذا الموضوع هنا ليعين المؤرخ والمطالع على فهم تسلسل موضوع النقباء وأولهم .

١ — ابو الحسن محمد بن جعفر الملقب بقيراط الحسني ولي النقابة ببغداد في اوائل القرن الرابع الهجري .

٢ — ابو عبد الله محمد بن الداعي ابي محمد الحسن بن القاسم الحسين ولي نقابة النقباء ببغداد سنة [٣٤٨ هـ] وما توفرت على الطالبيين اموالهم وارزاقهم وبساتينهم كما توفرت عليهم ايام نقابته واستمر عليها الى سنة [٣٥٣ هـ] حيث خرج الى بلاد الديلم فصار مقامه على النقابة ابو محمد الحسن بن علي ابن الحسين المدايني الأفطسي .

٣ — ابو احمد الحسين بن موسى والد الرضي والمرتضى ولي النقابة سنة [٣٥٤ هـ] كما يقول ابن الأثير ثم قبض عليه عضد الدولة سنة [٣٦٩ هـ] وحبسه في قلعة بفارس

---

(١) يظهر لي ان ابن بطوطة لم يفهم سر حكم بلد النجف حينذاك من قبل النقيب لذلك استغرب ، وسره ان النجف منذ القرن الثالث الأسلامي يغلب على سكانها العلوية اي ان اغلب سكانها كانوا من العلويين حتى انه لم يات القرن الرابع الهجري حتى كان العلويون في النجف حوالي الألفين .

وكانت عوائل كثيرة وبيوت معروفة تقطن هناك حتى تمكنوا من البلد فلم تعد للسلطان حاجة هناك فأوكل الحكم الى النقيب .

(٢) هذا النقيب كان قبل الشريف ابي احمد وسنعيد ذكره مرة اخرى .

(٣) اغلب ماعتمدنا عليه في هذا الموضوع مقالة السيد العلوي في مجلة المرشد للعلامة هبة الدين .